

بمنطق الرفض تجاه الطلبات الفلسطينية، على اعتبار انه إذا كانت طلبات الفلسطينيين بشأن السيادة والاستقلال، الخ، على ما يجره ذلك من اخطار على الكيان الصهيوني، راهنة او مستقبلية، لا تجد دعما الا بذلك المستوى البائس من الاداء في مقاومة المخططات الاسرائيلية، فانه من الاسهل، صهيونيا، التمسك بالوضع الراهن مع تحمل الاخطار غير الكبيرة الناجمة عنه، بالمقارنة مع تلك التي قد تبرز في حال الموافقة على تغييره. والواضح، بالطبع، ان مقاومة فلسطينية لا تثير الخوف، وبالتالي «الاحترام»، لدى الصهيونيين لن تساهم كثيرا في تقديم «علاج» ناجع لغرورهم يجعلهم «يقتنعون» بالموافقة على حل عادل للقضية الفلسطينية، بل انها قد تدفعهم الى عكس ذلك تماما.

لقد نجم وضع المقاومة المتردي هذا عن عوامل عديدة متشعبة، ليس من السهل حصرها ولكن بالامكان الاشارة الى بعض الرئيسية منها. وفي هذا الصدد، اول ما يطالع المرء هو تلك العفوية التي يتميز بها تنظيم المقاومة من جهة، وعملياتها من جهة اخرى. فلقد بدأت المقاومة، في اول الطريق، بدفع عناصرها تسلا عبر الحدود، واستمرت على هذا النهج، الى ان استطاع الاسرائيليون قفل الحدود؛ وذلك بواسطة اجراءات عسكرية، كتكثيف الدوريات واقامة الحواجز من جهة، وسياسية امنية، بالضغط على هذه الدولة او تلك من الدول العربية المجاورة، بوسائل مختلفة، لحملها على محاربة تسلل الفلسطينيين الى المناطق المحتلة من جهة اخرى. وعند هذا الحد، بل وعمليا قبل ان تصل اليه، راحت المقاومة تعمل على اقامة الخلايا بين سكان المناطق المحتلة لتقوم بتأدية مهامها في داخل تلك المناطق. ولكن الصلابة التنظيمية كانت بائسة للغاية، اذ ما ان يلقى القبض على شخص ما حتى تكرر السبحة ويعتقل العديدون، مما يقضي على تجمعات فدائية بأسرها. اما مستوى العمليات فقد كان اكثر بؤسا، اذ كان عامة عبارة عن القاء متفجرة هنا او هناك، يثير انفجارها، اذ لم تكتشف سلفا ويبطل مفعولها، الاشمئزاز في نفوس المستوطنين الصهيونيين اكثر مما يخيفهم او يلحق الاضرار بمخططاتهم. ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل حتى انه ازداد سوءاً. فمع مرور الوقت، قل عدد العناصر العاملة في هذا المجال، وراح العديد منهم ينتقل للعمل في الاجهزة «البراقة»، المتخمة اصلا بالقوى البشرية العاطلة عن العمل، كالأعلام والامن وغيرهما. ثم تبع ذلك مرحلة جديدة اصبح معظمهم خلالها «يشتغلون» سياسة، على طريقتهم غير السياسية بالطبع، ونسوا، او كادوا ينسون، متطلبات المقاومة الحقيقية الناجعة. وكان ان كبر الجهاز الفلسطيني ونما وتشعب في مشارق الارض ومغاربها، دون ان ينشأ او يتبلور ما يوازيه داخل الاراضي المحتلة، بحيث باتت المقاومة شبيهة بميزان، احدى كفتيه مليئة بمختلف انواع البضاعة، والكفة الثانية فارغة.

وحتى نكون منصفين لا بد من الاشارة، من ناحية ثانية، الى ان النشاط الفلسطيني قد تمكن، على الرغم مما اشرنا اليه، من خلق جو مقاومة حقيقي، ان صح التعبير، في المناطق المحتلة، يشكل ارضية مريحة للانطلاق منه نحو تصعيد وتيرة النشاط الوطني هناك؛ وهو ما ساعدت على خلقه، الى حد بعيد، ممارسات الاحتلال الاسرائيلي نفسه. فالمخططات الصهيونية لتهود المناطق المحتلة اوزمها، على ما يتبع ذلك من اجراءات معادية للعرب وهدافة للتضييق عليهم في مختلف المجالات، اثارت وتثير عدا و معارضة لدى كافة قطاعات المواطنين العرب، وتدفعهم الى التمسك برفض الاحتلال والمطالبة بانحساره. ويجد هذا الاتجاه تعبيراً عنه في ظواهر عدة، كالاقتتالات والتظاهرات والصدامات مع القوات الاسرائيلية هنا وهناك. كذلك يلاحظ انه ليس هنالك ولو